

محاورات برتراند رسل

ترجمة
محمد عبد الله الشفقي

من مختارات البرنامج
الثقافى لاذاعة الجمهورية العربية
المتحدة


منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET

محاورات برتراند رسل

ترجمـة

محمد عبد الله الشفقي

من مختارات البرنامج
الثقافي لاذاعة الجمهورية العربية
المتحدة

((انى اتخيل عالما يموج ببنى البشر
الذين يستمتعون بالسعادة والقـوة
والذكاء)) .

برتراند رسل

مقدمة

يعد برتراند آرثر وليم رسل فيلسوفاً من فلاسفة العصر بل يعد فى طليعتهم إلى جانب أنه أكبر داعية من دعاة السلام ، وهو كاتب ومرب وعالم من علماء الرياضة والاجتماع والمنطق والفلسفة .

ولد فى عام ١٨٧٢ م وهو من خريجى جامعة كمبردج النابغين ، وعين ملحقاً بالسفارة البريطانية فى باريس عام ١٨٩٤ م

ودراساته تميل بوجه عام نحو الفلسفة والرياضيات ومشكلات المجتمع وتربية الأطفال فقد افتتح مدرسة اتخذت شعاراً لها تنمية مواهب الأطفال وتأكيد ذواتهم من غير ضغط أو سيطرة .

وقد ظهرت نزعته القوية إلى السلام منذ الحرب العالمية الأولى حين أظهر نشاطاً دافقاً يؤيد جمعية « معارضى التجنيد » .

وفى عام ١٩١٨ كتب مقالا فى جريدة التربيونال يحض على سيادة السلام والقضاء على الحروب لحكم عليه بالسجن ستة أشهر ، وقد استطاع فى سجنه أن يخرج مؤلفه « المدخل إلى الفلسفة الرياضية » Introduction to Inthe Matical Ghilosophy (١٩١٩) ثم تقلب فى المناصب الجامعية أستاذا

وحاضراً فى الجامعات البريطانية والامريكية .

ونشر كتباً كثيرة من بينها «التربية والحياة الطيبة» Education and the good life (١٩٢٦) و«تملك السعادة» The conquest of happiness ١٩٣٠ و«تاريخ الفلسفة الغربية» A history of western Philosophy (١٩٤٥) و «مقالات خاصة» Unpopular essays (١٩٥٠) و«لماذا لم أكن مسيحيا» Why I am not a christian (١٩٥٨) و «حكمة الغرب» Wisdom of the west (١٩٥٩)

ومن كتبه التى ترجمت إلى العربية «أثر العلم فى المجتمع» ثم كتابه «السلطة والفرد» وقد نشرته لجنة «اخترنا لك» وهو مجموعة محاضرات ألقاها فى الإذاعة البريطانية .

أما الأحاديث التى ننقلها إلى قراء العربيـــة الآن وقد أذيعت فى البرنامج الثقافى لاذاعة الجمهورية العربية المتحدة فهى عبارة عن محاورات دارت على الطبيعة بينه وبين وودرو وايت وعرضت على شاشة التليفزيون البريطانى عام ١٩٥٩ من غير تهيئة أو تحضير إذ أبى الفيلسوف أن يستعد لها قائلا «إنى لست ممثلا» .

ولا شك أن القارىء حين يمضى فى قراءة هذه الأحاديث سيجد فيها متعة وروعة ، وسيحس إحساساً قويا بعمق تفكير الكاتب ، وسعة اطلاعه ، ونزعته القوية إلى سيادة السلام ، وإلى حرصه الشديد على التراث الانسانى والحضارة البشرية ، بل إنه سيطالع آراء طريفة خصبة ، ويتعرف على فلسفة هذا العالم الذى سبق عصره من غير ريب

وإنك لتدرك هذه الطرافة فى تعريفه لمفهوم الفلسفة والسعادة والتعايش السلمى ، وما أحوجنا فى هذه الفترة التى نعيش فيها على حافة الهاوية إلى إدراك هذه المفاهيم واعتناق هذه المبادىء حتى يسود السلام وتنجو الإنسانية مما هو محدق بها من أخطار جسام .

إن هذه المفاهيم تأييد لصيحة السلام القوية التى ينادى بها أقطاب الدول غير المنحازة وتردد هديرها فى مؤتمر بلغراد .

هذا هو الفيلسوف الذى نقدم إلى القراء خمس محاورات من أحاديثه التى نشرت فى كتاب عام ١٩٦٠ تحت عنوان Bertrand Russell speaks his mind أى برتراند رسل يفصح عن آرائه ، وهو يقضى عقوبة السجن لأنه يدعو إلى السلام ويندد بالحرب . فما أعجب مفارقات الحياة !!

المحاورة الاولى

ما الفلسفة ؟

المحاورة الأولى

ما الفلسفة ؟

وودرو وايات : لورد رسل ، ما الفلسفة ؟

لورد رسل : حسن ، إنه سؤال يثير جدلا كبيراً واعتقد أنه ليس هناك فيلسوفان يتفقان على جواب واحد ويتلخص رأى الشخصى فى أن الفلسفة ماهى إلا تأملات فى موضوعات لم نصل فيها بعد إلى معرفة يقينية . هذا هو ردى أنا ـ لارد أى فيلسوف آخر .

وايات : إذن ما الفرق بين الفلسفة والعلم ؟

رسل : حسن ، تستطيع أن تقول ـ بصفة عامة ـ إن العلم يدور حول مانعرفه ، أما الفلسفة فتدور حول مالا نعرفه . إنه تعريف بسيط ولذا تجد أن المسائل تنتقل على الدوام من مجال الفلسفة إلى مجال العلم كلما تقدمت المعرفة .

وايات : إذن فعندما نوقن من شيء ونكتشفه فإنه لايظل فلسفة وإنما يصبح علماً ؟

رسل : نعم ، وهناك مسائل كثيرة متنوعة كانت تندرج فى قائمة الفلسفة غير أنها لم تعد الآن كذلك .

وايات : فما فائدة الفلسفة ؟

رسل : أعتقد أن للفلسفة فائدتين بالفعل : إحداهما أنها تظل تغذى التأمل فى الأشياء التى لم تخضع بعد للمعرفة العلمية ؛ فمهما يكن الأمر، فان المعرفة العلمية تعطى شطراً ضئيلا فقط من الأشياء التى تهم الجنس البشرى ، والتى يجب أن تهمه . إن هناك عدداً هائلا من الأشياء الهامة للغاية ، أشياء لا يعرف عنها العلم كثيرا ، فى الوقت الحاضر على الأقل ، وأنا لا أريد أن تظل أخيلة الناس محدودة ، محصورة داخل ما يمكن معرفته الآن . وأعتقد أن من بين فوائد الفلسفة أنها توسع من نظرتك الخيالية إلى العالم فى مجال الافتراضات . غير أن هناك فائدة أخرى تماثلها فى الأهمية ، على ما أعتقـــد ، وهى أن الفلسفة ترينا أن هناك أشياء كنا نعتقد أننا نعرفها ، غير أننا لا نعرفها .

فالفلسفة من ناحية ، تجعلنا نفكر فى أشياء قد نعرفها فى يوم من الايام ، وهى من ناحية أخرى تجعلنا متواضعين حين نعرف كيف أن هناك أشياء كثيرة ليست من المعرفة فى شىء . بالرغم من أنه خيل إلينا أنها معرفة .

وايات : هل لك أن تذكر لنـا بعض الموضوعات التى تأمل فيها الفلاسفة ثم أسفرت فيما بعد عن نتائج ملموسة ؟

رسل : نعم . هذا أمر يسير جدا ، وخاصة إذا ما ضربنا الأمثلة من الفلسفة اليونانية .

لقد ابتكر الإغريق سلسلة كاملة من الافتراضات التى وضحت

قيمتها بعد ذلك . غير أنهم لم يستطيعوا إثباتها فى عصرهم . خذ مثلا الافتراض الذرى atomic hypo-thisis .

لقد ابتكر ديمقريطس الافتراض الذرى القائل بأن المادة تتألف من ذرات صغيرة ، وبعد مضى ألفى عام ، بل أكثر من ألفى عام ، ثبت أن هذا هو الرأى العلمى الصحيح ، غير أنه فى عصره ، لم يكن سوى افتراض ، أو خذ أريستارخوس ، كان أريستارخوس أول من أشار إلى أن الأرض هى التى تدور حول الشمس لا أن الشمس هى التى تدور حول الأرض ، وأن التحركات الظاهرية اليومية للكواكب مرجعها دوران الأرض .

وظل هذا الافتراض مغفلا بل نسياً منسياً إلى أن ظهر عصر كوبرنيكس بعد ألفى عام . ولكن ، من المحتمل أن كوبرنيكس لم يكن ليفكر فى ذلك أبدا لولا أريستارخوس .

وايات : كيف يتم ذلك . بشىء من الحدس ؟

رسل : أوه ، لا . إن الناس الذين يفكرون ، قبل غيرهم ، فى هذه الافتراضات لايستطيعون أن يقولوا « هذه هى الحقيقة » . إنهم يقولون فقط « قد تكون هذه هى الحقيقة » . وإذا كان لك خيال على خصب استطعت التفكير فى عدد هائل من الأشياء التى قد تكون صحيحة ، وهذا هو جوهر العلم : إنك تفكر أولا فى أشياء قد تكون صحيحة - ثم تنظر بعد ذلك لترى ما إذا كانت صحيحة بالفعل ، أو ليست صحيحة بوجه عام

وايات : ولكن ، ألم يعتقد أفلاطون أن نظرية ديمقريطس عن الذرات هي محض هراء ؟

رسل : لقد كان أفلاطون يحس بالرعب من ديمقريطس - وقال إن من الواجب إحراق كل كتبه - وسبب هذا أن أفلاطون لم يكن يحب العلم . كان يحب الرياضة ، غير أنه لم يكن يحب أى شيء على آخر .

وايات : إذن فإن الفلسفة تصبح، بهذه الطريقة ، خادماً للعلم .

رسل : حسن ، إن من بين مهام الفلسفة خدمة العلم ، غير أن وظيفتها لا تقتصر على خدمة العلم — لأن هناك عدداً من الأشياء التي لا يستطيع العلم أن يتناولها . مثال هذا كل ما يتصل بالقيم من مسائل إن العلم لن يخبرك بما هو صالح وما هو فاسد — بما هو صالح وما هو فاسد كغايات ، لا كمجرد وسائل .

وايات : ولكن، ما التغيرات التي تراها طرأت على موقف الفلاسفة والجمهور من الفلسفة على مر السنين ؟

رسل : حسن ، هذا يتوقف على المدرسة الفلسفية التي تفكر فيها ، ففيما يتعلق بأفلاطون وأرسطو كان الشيء الرئيسي هو محاولة فهم العالم ، واعتقد - شخصياً - أن هـــذا هو واجب الفلسفة . نصل بعد ذلك إلى الرواقيين الذين كان اهتمامهم منصباً على الأخلاق ؛ فمن شعاراتهم يجب أن تكون رواقياً ، يجب أن تحتمل المحن بصبر - وأصبح هذا المفهوم مرادفاً شائعاً لكلمة « فيلسوف »

وايات : هل تستطيع أن تعتبر ماركس فيلسوفاً ؟

رسل : نعم ، فى المؤكد أنه كان فيلسوفاً فى ناحية من النواحى ، غير أنك تصل هنا إلى فارق هام بين الفلاسفة . فهناك فلاسفة يعيشون ليعضدوا الوضع الراهن ، وهناك آخرون يعيشون ليقلبوه رأساً على عقب ـ وماركس ينتمى إلى الفئة الثانية بالطبع وأنا من جانبي أرفض الاتجاهين ، ولا أعتبرهما المهمة الحقيقية للفلسفة ، وأعتقد أن مهمة الفيلسوف ليست فى تغيير العلم وإنما فى فهمه ـ وهو عكس ما قاله ماركس تماماً .

وايات : فأى نوع من الفلاسفة أنت ؟

رسل : حسن ، إن اللافتة الوحيدة التى وضعتها لنفسى هى أننى ذرى منطق ، غير أنى لست حريصاً جداً على التسمية لقد تجنبت التسميات إلى حد ما .

وايات : ما معنى ذرى منطق ؟

رسل : معناه ، فى نظرى ، أن التحليل هو الوسيلة التى توصلك إلى طبيعة الموضوع الذى تبحث فيه ـ وأنك تستطيع أن تمضى فى تحليلك إلى أن تصل إلى الأشياء التى لا يمكن أن تقبل تحليلا بعد ذلك ، وستكون هذه الأشياء هى الذرات المنطقية . وأنا أسميها بالذرات المنطقية لأنها ليست جزيئات صغيرة من مادة . وإنما هى الأفكار التى يبنى منها الشيء .

وايات : ما الاتجاه الرئيسى لفلسفة اليوم ؟

رسل : حسن ، حرى بنا أن نميز هنا بين البلدان التى تتكلم الانجليزية وبلدان القارة الأوربية .

إن الاتجاهات الحاضرة منفصلة بعضها عن بعض أكثر بكثير مما كانت عليه فى الماضى وهناك، فى البلدان التى تتكلم الانجليزية وبخاصة انجلترا ، فلسفة جديدة نبعت ـ على ما أعتقد ـ من الرغبة فى خلق مجال منفصل للفلسفة . وقد يبدو ، مما قلته منذ لحظة ، أن الفلسفة مجرد علم غير كامل ، هناك إذن أناس لا يحبون هذا الرأى ، إنهم يريدون للفلسفة مجالا مستقلا خاصا بها .

وقد أسفر هذا عما تستطيع تسميته بالفلسفة اللغوية Flnguistic phifosophg . وفى هذه الفلسفة لا يهتم الفيلسوف بالاجابة عن الأسئلة وإنما بجعل معنى الأسئلة واضحاً تماما وأنا لا أوافق شخصياً على هذا الرأى ، غير أننى أستطيع ان أضرب لك مثالا :

كنت ذات يوم أركب دراجتى متجها إلى « ونشستر » ، وضللت طريقى ، وكان أن اتجهت إلى حانوت ريفى وسألت صاحبه « هل تستطيع أن تدلنى على أقصر طريق لونشستر ؟ » .

وتحدث الرجل الذى سألته إلى رجل فى حجرة خلفية لم أستطع أن أراه ـ « هذا السيد يريد أن يعرف أقصر طريق إلى ونشستر » .

ورد الصوت من الداخل « ونشستر ؟ » .

« نعم » ـ

«الطريق إلى ونشستر؟ » نعم أقصر طريق » .

« نعم » « لا أعرف » .

حسن ، هذا هو ماتوصى به فلسفة اكسفورد .

وايات : تقصد أنها تريد أن تقول : احصل على الأسئلة بطريقة سليمة ولا تشغل بالك بالاجابة ؟

رسل : نعم . إن الإجابة وظيفة رجل آخر .

وايات : إذن فما هو وجه الاختلاف بين هذا المنهج والمنهج الاوربى فى الوقت الحاضر ؟

رسل : إن المنهج الاوربى أكثر حيوية فيما أعتقد وإن لم أعد أوافق عليه . غير أنه ـ فى ناحية من النواحى ـ أكثر حيوية من المنهج الانجليزى وأكبر شبها بفلسفات العصور القديمة .

وهناك أنواع مختلفة من الفلسفة التى تنبع من نظرة « كيركيجارد » إلى الوجودية ؛ ثم هناك فلسفات صيغت لتناقش الديانة التقليدية . هناك أشكال متنوعة من هذا القبيل . ولا أعتقد، شخصياً، أنها تنطوى على شىء هام بصورة ملموسة .

وايات : نعم، ولكن ماالفائدة العملية لفلسفتك بالنسبة لرجل يريد أن يعرف كيف يتصرف ؟

رسل : كثيرون جداً يكتبون إلى قائلين إنهم فى حيرة تامة الآن ، إذ لا يعرفون كيف يتصرفون بعد أن كفوا عن التسليم بالشواخص التقليدية التى كانت ترشدهم إلى الطريق الصحيح ، وهم لايعرفون أى معالم أخرى

يسترشدون بها . وأعتقد أن الفلسفة التي أومن بها تفيد في هذه الناحية :
إنها تساعد الناس على أن يتصرفوا بجرأة مع أنهم ليسوا على يقين تام من أن تصرفهم هو التصرف السليم ، ولا أعتقد أن من واجب المرء أن يكون موقناً من أى شئ . إذا كنت موقناً من شيء فتأكد من أنك مخطيء ، فليس هناك شيء يستحق اليقين ، ولذا يجب على المرء أن يعتنق كافة معتقداته بشئ من الشك ، ويجب أن تكون لديه القدرة على التصرف بحيوية بالرغم من هذا الشك :

وعلى كل فهذا هو ما يفعله القائد عندما يضع خطة المعركة . إنه لا يعرف تماماً ما الذى سيفعله العدو ، غير أنه يخمن بطريقة صحيحة - إذا كان قائداً بارعاً . فإذا كان قائداً فاشلا فإنه يخمن بطريقة خاطئة ، غير أنه على المرء أن يتصرف - فى واقع الحياة - بناء على الاحتمالات ، والذى أتوقعه من الفلسفة هو أن تشجع الناس على التصرف بحيوية بالرغم من افتقارهم إلى اليقين الكامل .

وايات : نعم ، ولكن ماذا عن ذلك الاتجاه الذى يجعل الناس يشكون فى أشياء يؤمنون بها ويعتنقونها ؟ ألا يبلبل هذا خواطرهم ؟ .

رسل : حسن ، إنه يفعل ذلك لحين من الوقت ، وأنا أعتقد ان وجود شئ من القلق جزء أساسى فى التدريب الذهنى غير أن الناس حين يلمون بالعلم يحصلون على ذلك العنصر المستقر الذى يحول بينهم وبين أن ينهاروا تماما أمام الشكوك التى يجب أن تساورهم .

وايات : ما مستقبل الفلسفة فى نظرك ؟ .

رسل : لا أعتقد أن الفلسفة ستتمتع فى المستقبل بالأهمية التى كانت تتمتع بها عند الاغريق أو فى العصور الوسطى . وأعتقد أن تقدم العلم يقلل لا محالة من أهمية الفلسفة .

وايات : ربما كان السبب أيضاً أن لدينا فلاسفة كثيرين ؟

رسل : أوه ، حسن ، لا أعتقد أن الفيلسوف يستطيع أن يعبر عن رأيه فى هذا الموضوع ، وأعتقد أن من واجب الأفراد ـ الذين ليسوا فلاسفة ـ أن يبدوا رأيهم فيه .

وايات : هل لك فى أن تلخص لنا قيمة الفلسفة فى عالم اليوم وفى السنوات المقبلة .

رسل : حسن ، أعتقد أن الفلسفة هامة جداً فى عالم اليوم، أولا لأنها كما قلت ، تجعلك تدرك دائماً أن هناك موضوعات ضخمة جداً وهامة جداً لا يستطيع العلم أن يتناولها ، فى الوقت الحاضر على الأقل ، وأن وجهة النظر العلمية وحدها لا تكفى ، والفائدة الثانية التى تحققها هى أنها تجعل الناس أكثر تواضعاً ، من الناحية الفكرية ، كما تجعلهم يدركون أن هناك أشياء كثيرة جداً كانوا يعتقدون أنها صحيحة ومع ذلك ثبت أنها غير صحيحة ، وأنه ليس هناك طريق مختصر إلى المعرفة . وأن فهم العالم ـ وهو فى رأيى الهدف الكامن الذى يجب أن يرنو إليه كل فيلسوف هذا الفهم مهمة شاقة ، وعسيرة جداً ، وعلينا ألا نكون حيالها متعنتين جامدين .

المحاورة الثانية

الحزب والدعوة إلى السلام

المحاورة الثانية

الحرب والدعوة إلى السلام

وودرو وايات : لورد رسل ، هل تعتقد أننا نستطيع أن نقول أنه كانت هناك حروب عادلة ؟

لورد رسل : نعم ، أعتقد أن هذا معقول تماماً ، غير أن عليك بالطبع أن تحدد ما الذى تعنيه بكلمة « عادلة » فقد تقصد بذلك الحروب التى لها مبرر شرعى ، ولاشك أنه كان هناك عدد كبير من الحروب التى كان لها مبرر شرعى قوى - من وجهة نظر أحد الفريقين . وقد تقصد الحروب التى قد تفيد ولا تضر ، وهنا يختلف التقسيم . يختلف تماماً .

وايات : هل تستطيع أن تضرب أمثلة للنوعين ؟

رسل : نعم ، من السهل تماماً . فأنا أعتقد أن أى مقاومة للعدوان أو الغزو إجراء عادل لقد كان الانجليز عادلين تماماً عندما قاوموا الأرمادا الاسبانية . وأعتقد أن المجريين كانوا عادلين تماماً عندما حاولوا الحصول على حريتهم قضية محظوظة وأخرى سيئة الحظ . غير أنك إذا ما تناولت مسألة المبدأ وصلت إلى تقسيم آخر . إن عليك أن تفكر فيما إذا كان الأمر سيسفر عن خير أو شر .

وايات : فماذا عن حرب الاستقلال الأمريكية ؟

رسل : حسن ، أعتقد أنها كانت تتمتع بالتبرير الكافى . ويخيل إلى أنها لم تكن مبررة من الناحية الشرعية ، والواقع أنك إذا أردت الذهاب إلى أمريكا اليوم ، فعليك أن تدلى ببيان يشتم منه أنك تندد بجورج واشنطن . عليك أن تقول أنك لاتؤمن بوجوب مقاومة أى حكومة شرعية بالقوة أو بالعنف ، غير أنك لاتقول هذا بالطبع إلا بعد مرور وقت طويل على حرب الاستقلال .

وايات : والآن ، هل تعتقد أنه كانت هناك حروب ناجحة على طول المدى ؟

رسل : أوه ، نعم ، نعم . لنرجع إلى التاريخ القديم ، خذ مثلا . الإسكندر وقيصر . كانا من كبار الفاتحين ، ولقد خاضا حروباً تفتقر إلى التبرير الشرعى ، ولكنى أعتقد أن فتوحاتهما أسفرت عن نتائج حميدة . ففتوحات الاسكندر أرست دعائم الهيلينية فى جميع أنحاء الشرق الأدنى ، كما نشرت اللغة اليونانية ، وحفظت لنا تراث اليونان الثقافى . ولا أستبعد أننا ـ جميعاً ـ كنا سنجهل إلى اليوم فضل الإغريق على المدنية ، لولا الإسكندر .

وايات : فماذا عن قيصر ؟

رسل : حسن ، فتح قيصر بلاد الغال ، وجعل الغال جزءاً من العالم المتمدين وقدم اللغة الفرنسية التى نعجب بها جميعاً الإعجاب كله ـ ولم تكن هذه اللغة لتظهر لولا قيصر .

وايات : ما أسباب الحرب الرئيسية فى نظرك ؟ أتكمن فى الاقتصاد أم . خبل الحكام ؟ أم هو انفجار الحماسة الشعبية أو الروح الشعبية ؟

رسل : حسن ، إن هناك أمثلة لهذه الأسباب جميعاً . فهناك حرب تنشب لسبب من هذه الأسباب وحرب تنشأ لسبب آخر . والآن لننظر فى هجوم فريدريك الأكبر على ماريا تريز ؟ أعتقد أن هذا الحق كان وقفاً على الملك وحده وخاضعاً لهواه ومشيئته ولا أعتقد أنه كان هناك سبب آخر على الاطلاق

وكان من الامور المعتادة ، فى القرن الثامن عشر ، أن يخوض الملوك غمار حرب دون أى مبرر على الاطلاق ، لا لشئ إلا لكى يحققوا مجدهم ويؤكدوا هيبتهم . غير أن هذه الظاهرة لم تتكرر كثيراً بعد القرن الثامن عشر .

وايات : إن هذا يدخل ، فيما يبدو ، تحت قائمة « خبل الحكام » .

رسل : نعم . فلنتجاوز ذلك إلى الاسباب الاقتصادية . لقد كان لها دورها الكبير ، بالطبع ، فى ذلك الصراع الطويل ، المرير ، بين انجلترا وأسبانيا . لقد كانت الاسباب ، من ناحيتنا ، اقتصادية أساساً أما من جهة أسبانيا فكانت دينية . وحارب الانجليز من أجل شىء مستحب ، وحارب الأسبان من أجل شىء غير مستحب ؛ غير أنها كانت مهمة استغرقت وقتاً طويلا ، وكانت ـ من جانبنا ـ اقتصادية بحتة ، أو تكاد تكون اقتصادية بحتة ثم لننتقل بعد ذلك إلى هستيريا الجماهير ، لاشك أنها تلعب أيضاً دورها . لقد كان وولبول رئيساً للوزراء لفترة طويلة جداً ، ثم أسقطته هستيريا الجماهير وتصميمها على الدخول فى حرب مع

أسبانيا . فقد اعتدنا الدخول فى حرب معها لقد أحببنا ذلك ، أما هو فقد رغب عنها .

وايات : لقد كنت داعية إلى السلام خلال الحرب العالمية الأولى . الا ترى أنك ناقضت نفسك قليلا حين لم تدع إليه أثنـــاء الحرب العالمية الثانية ؟

رسل : حسن ، لست أرى هذا الرأى مطلقاً . أنا لم أومن بتاتاً بأن كل الحروب عادلة ، أو أنها ، كلها ، غير عادلة . لم يحدث هذا أبداً . أحسست أن بعض الحروب لها ما يبررها ، بينما تفتقر حروب أخرى إلى تبرير ولقد آمنت بأن الحرب العالمية الثانية لها ما يبررها ، أما الأولى فكانت تفتقر ـ فى نظرى ـ إلى تبرير .

وايات : فما سبب إيمانك بأن الحرب العالمية الثانية كان لها ما يبررها ؟

رسل : لأننى رأيت أن هتلر غير محتمل على الاطلاق . كان الاتجاه النازى ، برمته ، مرعباً ، واعتقدت أنه إذا غزا النازى العالم ـ ومن الواضح أنهم كانوا ينوون ذلك إذا استطاعوا ـ فإن العالم سيصبح مكاناً تستحيل فيه الحياة إلى جحيم ، وآمنت بأن من واجبنا أن نضع حداً لهذا آمنت بأن من واجبنا أن نفعل ذلك .

وايات : أما زلت تعتقد بأن الدخول فى الحرب العالمية الأولى كان خطأ ؟

رسل : نعم ، أعتقد أنه كان من واجب انجلترا أن تكون حيادية

وقلت ذلك فى ذاك الحين ، ومازلت متمسكا برأيى . وأعتقد أننا لوكنا حياديين فى الحرب العالمية الأولى لاستمرت الحرب لفترة وجيزة ؛ كانت الحرب ستنتهى وألمانيا أقوى بكثير مما كانت عليه فى البداية ، غير أنها لن تكون قوية بصورة شاملة ، وبالرغم من الدعاية . التى سادت انجلترا فى ذلك الحين ، إلا أن ألمانيـــا القيصرية لم تكن بمثل هذه الصورة السيئة .

والواقع أن الحكومات التى تشبه اليوم حكومة القيصر فى صلاحها قليلة جداً ـ نعم ، قليلة جدا ـ ذلك لأنك عندما تخوض حربا ضد حكومة سيئة فإنك تجعلها دائما أكثر سوءا . ولا أعتقد أن هذا ينطبق على الحرب ضد النازى ، إذ لم يكن هناك ماهو أسوأ من ذلك . غيرأن هذا المبدأ ينطبق بصفة عامة ، ولو قد ظللنا حياديين عام ١٩١٤ لما ظهر النازى ، ولما ظهر الشيوعيون . وواضح تماماً أن الشيوعيين ظهروا نتيجةلتفكك الجيش الروسى والانهيار الشامل الكامل فى روسيا آنذاك ولم يكن هذا ليحدث لو كانت الحرب قصيرة .

وايات : فما الذى كان سيحدث فى روسيا ؟

رسل : كانت ستنشب ثورة وفقاً للخطوط التى كانت ترمى إليها ثورة ١٩٠٥ .

وكان من المؤكد ، تقريباً ، أن الثوار الاجتماعيين سيصلون ، فى هذه الحالة ، إلى كراسى الحكم ، ولم يكونوا بشعين بشاعة الشيوعيين . وأعتقد أنهم كانوا سيخلقون جوا محتملا .

وايات : فهل تعتقد أن النازية لم تكن لتظهر فى ألمانيا ، وأنها كانت ستخطو ـ تدريجياً ـ نحو شكل معقول من أشكال الديمقراطية ؟

رسل : نعم ، كانت ألمانيا فى طريقها ، بالفعل ، إلى هذه المرحلة . وكانت تحقق ذلك بخطا معقولة ، بنفس السرعة التى سرنا بها فى انجلترا فى زمن سابق . وأعتقد أن ألمانيا كانت ستصبح ـ فى الوقت المناسب ـ ديمقراطية برلمانية ، ومن المؤكد أنها لم تكن لتستنبط هذه الفلسفة النازية التى جاءت كرد فعل للدمار .

وايات : ولكن لنفرض أننا لم نشترك فى الحرب العالمية الأولى . فمن المؤكد أن الألمان كانوا سيكتسحون فرنسا فى هذه الحالة ، وبعد أن يتم لهم ذلك يتطلعون حواليهم إلى انجلترا ويقولون ، حسن ، فلنمسح انجلترا من على وجه الأرض.

رسل : لا أعتقد أن هناك سبباً يستدعى ذلك . كان الألمان يريدون أشياء معينة محدودة . كانوا يريدون أن يسمح لهم ببناء أسطول ممتاز وكانوا يريدون أن يسمح لهم بتوسع استعمارى يزيد على التوسع الذى نقبله ، وكانوا يريدون أيضاً فرض شىء من السيطرة على دول البلقان ـ الواقع أنهم أرادوا للنمسا شيئاً من التحكم فى دول البلقان . غير أنى أرى أن أهداف الامبراطور كانت محدودة ولا أعتقد أنه كان ينوى السيطرة على العالم كله .

وايات : غير أن الحرب العالمية الأولى كانت حرباً عادلة من ناحية أخرى ؛ من وجهة النظر البريطانية ، أليس كذلك ؟

رسل : أوه ، نعم ، كانت عادلة من الوجهة القانونية ، هذا إذا كنت تقصد أننا دخلنا الحرب دفاعاً عن بلجيكا ، وتلك بالطبع نقطة غامضة ؛ ولكنك إذا رأيت هذا الرأى ، فمن المؤكد إذن أنها كانت عادلة من الوجهة القانونية . ولكنى لا أومن بوجوب الدخول فى كل حرب لها تبرير شرعى .

وايات : هل تعتقد أن الناس يجدون متعة فى الحروب ؟

رسل : حسن ، كثير من الناس يجدون متعة فى الحروب. ولقد كانت هذه الظاهرة من بين الظواهر التى صدمتنى عام ١٩١٤ ، عندما بدأت الحرب الأولى . كان كافة أصدقائى الداعين إلى السلام - والذين كنت أعمل معهم آنذاك - يظنون المكائد الشريرة التى تدبرها الحكومات هى التى تفرض الحروب على الناس فرضاً ، غير أنى تجولت فى شوارع لندن وأخذت أتطلع فى وجوه الناس ، فوجدت أنهم جميعاً - أسعد بكثير مما كانوا قبل نشوب الحرب . وذكرت هذه الحقيقة كتابة ، وسببت بهذا حزناً كبيرا لأصدقائى الداعين إلى السلام ، إذ لم يعجبهم قولى هذا . وما زلت أومن بأن الكثرة الغالبة من الناس تستمتع بالحرب طالما أنها لا تنشب فى أرضها أو فى مكان مجاور لها ، وطالما أنها ليست شريرة جداً ؛ أما حين تصل الحرب إلى إقليمك فإنها لا تسبب هذه المتعة .

وايات : إذا كان كل هذا العدد من الناس يستمتع بالحروب ، فكيف يعالجون مشاعرهم العدوانية إذا لم يسمح لهم بحرب ؟

رسل : أعتقد أن مشاعرهم ليست عدوانية أساساً ، وإنما هى مشاعر

مغامرة ، وأعتقد أن من الأهمية بمكان كبير ، أن يتاح أقصى قدر من فرص المغامرة لكل الذين يعشقون المغامرة يجب أن تكون قادراً على ارتقاء الجبال دون حاجة إلى إنفاق مبلغ كبير من المال من أجل ذلك يجب أن يكون فى مقدورك الذهاب إلى القطب الشمالى والقطب الجنوبى إذا كنت تريد ذلك . يجب أن تتاح لك كل فرص المغامرة .

وايات : هل تعتقد أن شعوب اسكندناوه ـ أو كل، شعب السويد ـ أكثر سعادة بعد أن مضى عليهم وقت طويل دون أن تنشب حرب .

رسل : أوه ، نعم ، لم تنشب عندهم حرب منذ عام ١٨١٤ وطبقاً لما رأيته فى السويد ، أرى أنها من أسعد البلدان التى عرفتها . أعتقد أن السويديين يستمتعون بحياتهم استمتاعاً تاماً ، ولم ألمح ما يدل على أنهم يحسون بخيبة لأنهم لم يشتركوا فى حرب .

وايات : كثيرون منهم يقدمون على الانتحار .

رسل : أوه ، نعم ، إنهم ينتحرون ، ولكنهم ينتحرون لأنه ليس هناك دين يكبح جماحهم . إنهم ليسوا شعباً متدينا جداً ، وكل السويديين المتدينين قد ذهبوا إلى أواسط غربى أمريكا ، أما السكان الباقون فى السويد فكانوا غير متدينين نسبياً .

وايات : ولكن أليس وجود الحروب جزءاً من الطبيعة البشرية ؟

رسل : حسن ، لست أعرف ما هى الصورة التى يجب أن تكون عليها الطبيعة البشرية . غير أن طبيعتك مرنة وقابلة للتكيف بصورة

لأحد لها ، هذه هى الحقيقة التى لايدركها الناس . والآن إذا قارنت بين كلب مستأنس وذئب متوحش اكتشفت الدور الذى يلعبه التدريب والمران . إن الكلب المستأنس مخلوق لطيف مريح ، إنه ينبح من حين لآخر ، وقد يعض ساعى البريد ، غير أنه على مايرام عموماً ، أما الذئب فشىء مختلف تماما . والآن ، إنك تستطيع أن تفعل نفس الشىء للكائنات البشرية . إن الكائنات البشرية تختلف لدرجة هائلة وفقاً للطريقة التى تعامل بها ، وأعتقد أن الفكرة القائلة بأنك لا تستطيع أن تغير الطبيعة البشرية هى فكرة حمقاء للغاية .

وايات : ولكن ، من المؤكد أننا أنفقنا وقتاً طويلا ونحن نحاول إقناع الناس بالكف عن الحروب ، ومع ذلك لم نحرز نجاحاً كبيراً .

رسل : حسن ، نحن لم نحاول إقناعهم ثمة قلة فقط ، قلة محدودة للغاية ، حاولت أن تفعل ذلك ، أما الغالبية العظمى فلم تفعل شيئاً .

وايات : ألا تعتقد أن السويديين سيكونون أكثر سعادة إذا اشتركوا فى حرب تنعشهم قليلا ؟

رسل : لا أعتقد أن هناك أدنى سبب يدعو إلى هذا الافتراض . لا . إن معظم الناس ، فى الوقت الحالى ، قد خاضوا الحرب ، وأعتقد أنهم ليسوا - بالتأكيد - سعداء سعادة أهل السويد . هذا هو على الأقل انطباعى من السفر .

وايات : هل ترى إذن أن الناس لم يسعدوا كثيراً للحرب العالمية الثانية ؟

رسل: حسن ، لقد سارت الحرب العالمية الثانية فى مجرى مغاير جداً لمجرى الحرب الأولى . والأشخاص الذين اضطروا إلى خوض الحرب العالمية الأولى لم يكونوا سعداء على الاطلاق لأنهم كانوا يعرفون أن احتمال موتهم فى الحرب كبير بل كبير جداً .

أما الذين استمتعوا بالحرب أيما استمتاع فهم الذين لزموا بيوتهم . أما الحرب العالمية الثانية . فالأمر فيها مختلف كل الاختلاف ، وأعتقد أن الناس كانوا قد شبعوا ـ لقد أشبعوا نهمهم إلى الحرب فى الحرب العالمية الأولى .

وايات : تحدثت فى موضع سابق من هذا الحوار عن حرب نشبت ضد أسبانيا ، وأثارتها هستيريا الجماهير برغم أنف وولبـــول رئيس الوزراء ، فهل تعتقد أننا اليوم أقل تعرضاً لهستيريا الجماهير ؟

رسل : لا ، إن الوضع اليوم لم يتغير عن وضع الأمس . وأعتقد أن التعليم ، الذى يمكن الناس من القراءة ، قد ضاعف من هستيريا الجماهير ، عن طريق الصحافة . غير أن هناك ميلا مضاداً فى الطريق إلينا الآن ، وأعتقد أنه صادر أساساً من التليفزيون ، فالناس يحصلون الآن على أنباء العالم وهم جالسون فى بيوتهم ، لا فى قاعات محرومة تغص بجموع غفيرة من النـاس الذين يبدأون فى الصياح .

وأعتقد أن التجمعات الضخمة التى تجدها فى الاجتماعات العامة الكبرى هى السبب الرئيسى فى ظهور هستيريا الجماهير . وكلما تضاءلت أهمية الاجتماعات انحسرت الهستيريا .

وايات : هل تعتقد أن الموقف الذى تجتمع فيه الحشود بميدان « الطرف الأغر » عندما توشك الحرب على الاندلاع لن يظهر بسرعة الآن ؟

رسل : حسن ، أعتقد أنه سيظهر . فميدان الطرف الأغر ، على كل حال ، ملائم جداً ، ومن السهل الوصول إليـــه . وأعتقد أن ميدان « الطرف الأغر » سيستمر ، ولكن لا أعتقد أنه سيستمر على النحو الذى كان سيستمر به فى ظروف أخرى وأعتقد أنه يبدو شاذاً جداً حين توشك حرب أن تندلع . إذ تجتمع حشود هائلة فى ميدان الطرف الأغر لكى تصفق . إنهم يرددون قرار الحكومة ، ذلك القرار الذى يقضى بقتلهم . إنه لأمر شاذ . أمر لا تتوقعه من هذا الشىء الذى يسمى: الطبيعة البشرية . هذا هو دور الطرف الأغر ، بيد أنى أعتقد أن حدته ستخف .

المحاورة الثالثة

ما السعادة ؟

المحاورة الثالثة

ما السعادة ؟

وودرو وايات : لورد رسل . يبدو انك شخص سعيد جداً . هل كنت هكذا دائماً ؟

لورد رسل : لا ، من المؤكد أنني لم أكن كذلك على الدوام . لقد مررت بفترات سعادة وفترات شقاء ومن حسن حظي أن فترات السعادة تبدو أطول كلما تقدم بي العمر .

وايات : فما هي أسوأ فترة أحسست فيها بالشقاء ؟

رسل : حسن ، كنت تعساً ، تعساً جداً في فترة المراهقة ، وأعتقد أن كثيرين من المراهقين يشعرون بهذه التعاسة ، لم يكن لي أصدقاء ، لم يكن لي شخص أستطيع ان أتحدث إليه . وخيل إلى أنني أفكر في الانتحار باستمرار وأنني أمنع نفسي بصعوبة لكيلا أنتحر ، ولم يكن هذا صحيحاً بالمرة . أوه ، تخيلت ، بكل تأكيد أنني شقي ، غير أنني كنت واهماً إلى حد ما ، وهذا ما اكتشفته في أحد احلامي . رأيت فيما يرى النائم أنني مريض جداً ، وأنني ألفظ أنفاسي الأخيرة . والغريب أنه كان هناك شخص بجانب سريري ، وهو البروفيسير جوبت الأستاذ في باليول ،

ومترجم أفلاطون ، وكان رجلا غزير العلم ، وصديقاً لأسرتى. وكان له صوت حاد مشروخ ، وخاطبته فى حلمى بصوت عاطفى للغاية ، قلت له : « حسن ، مهما يكن الأمر فإن هناك ما يعزينى ، وهو أنى سأرتاح من هذا كله بسرعة » . وقال البروفيسير جوت « هل تقصد : ترتاح من الحياة ؟ » وقلت « نعم ، أقصد أرتاح من الحياة » ورد قائلا : « عندما تكبر قليلا ان تقول هذا الهراء » واستيقظت ، ولم أردد مرة أخرى هذا الهراء .

وايات : ولكن فيما يتعلق بسعادتك ، هل جاءت هذه السعادة بفعل تخطيط واع ، أم أنها حدثت مصادفة واتفاقاً ؟

رسل : إن التخطيط الواعى لم يتم إلا فيما يتعلق بعملى فقط ، أما باقى أوجه حياتى فتركتها للحوافز والمصادفة . ولكن من المؤكد أننى رسمت لعملى خطة واعية نفذتها على أكمل وجه .

وايات : ولكن هل تعتقد أن ترك السعادة للمصادفة والحوافز يؤدى إلى نتائج ناجحة ؟

رسل : أرى أ أعتقد أن السعادة تخضع للحظ لدرجة هائلة ، كما أنها تعتمد على مدى نجاحك فى عملك . لقد مررت بفترة شقاء مرعبة فى فترة متأخرة غير فترة المراهقة التى أتحـــدث عنها ، وذلك حين اعترضت طريقى مشكلة عويصة كان على أن أحلها ، وإلا عجزت عن المضى فى عملى . وظللت عامين وأنا أتصارع مع هذه المشكلة ، دون أن أحقق تقدماً على الاطلاق ، وسبب لى هذا شقاء كبيراً .

وايات : فما هى العناصر التى تدخل فى تكوين السعادة فى نظرك ؟

رسل : حسن ، أعتقد أن هناك أربعة عناصر تعتبر أهم العناصر جميعاً . ربما كان أول هذه العناصر : الصحة ، والثانى : الإمكانيات التى تكفى لإعفائك من الحاجة ، الثالث : عـــلاقات شخصية سابقة ، الرابع : العمل الناجح .

وايات: حسن ، فماذا عن الصحة ؟ ولماذا تعلق عليها كل هذه الأهمية؟

رسل: حسن ، أعتقد أنك إذا كنت تعانى من أنواع معينة من المرض فإن من العسير جداً أن تحس بالسعادة إن هناك أنواعا معينة من المرض تؤثر على الذهن وتتسبب فى تعاستك وهناك أنواع أخرى من المرض تستطيع أن تحتملها فى صبر ، غير أن هناك أنواعاً أخرى لا تحتمل .

وايات: هل تعتقد أن تمتعك بالصحة يجعلك سعيداً ، أو أن إحساسك بالسعادة يجعلك معافى ؟

رسل: حسن ، أعتقد ـ أولا ـ أن تمتعك بالصحة يجعلك سعيداً غير أن العكس صحيح أيضاً . وأعتقد أن الرجل السعيد أقل تعرضاً للمرض من الرجل التعس .

وايات: فلتقل أنك إذا نمت جيداً تستمتع باليوم التالى أكثر مما تستمتع به لو لم تنم جيداً .

رسل: أوه ، نعم ، لا شك فى هذا .

وايات: حسن ، هل لنا أن ننتقل إلى العنصر الثانى ، الدخل ؟ ما مدى أهمية الدخل ؟

رسل: حسن ، يتوقف هـذا على المستوى الذى اعتدته . إذا كنت قد اعتدت الفقر فلست محتاجاً إلى دخل كبير جداً . وإذا كنت معتاداً على الغنى الفاحش فإنك ستشعر بالتعاسة ما لم يكن دخلك ضخما جداً ، وهكذا تجد أن المسألة مسألة تعود ، على ما أعتقد .

وايات: غير أن الاتجاه قد يتضخم ويستحيل إلى سعى محموم وراء المال ، أليس كذلك ؟

رسل: أوه ، من السهل جداً أن يحدث هذا، وكثيراً ما يحدث بالفعل . إنك تجد أن شبح الموت فى المصنع يهدد الأغنياء وكثيراً ما يحدث هذا .

وايات: إذن فإن وجود مال كثير للغاية لا يحقق السعادة بالضرورة .

رسل: أوه ، لا ، لا . لا ـ أعتقد أن المال مطلب أدنى ، ولست بحاجة إلى التفكير فيه طويلا إذ لو فعلت فإنك تشعر بالقلق .

وايات: إنك تضع العلاقات الشخصية فى المحل الثالث فى القائمة . هل معنى ذلك أنك تعتقد أنها فى المرتبة الثالثة من الأهمية ؟

رسل: أوه ، لا ، لا . إنها المطالب الأول ، أو المطالب الأول بعد الصحة ، فيما يتعلق بتجاربى الخاصة بى .

وايات: هل تفسر قليلا ما الذى تعنيه بذلك ؟

رسل: ما الذى أعنيه بالعلاقات الشخصية ؟

وايات : نعم .

رسل : أوه ، حسن ، خيل إلى أن المعنى الذى أقصده واضح تماماً . إنى أعنى بالعلاقات الشخصية : الصداقة ، الحب ، علاقة المرء بأطفاله ، وكل ماشاكل ذلك من العلاقات الشخصية الوثيقة . فإذا كانت هذه العلاقات تعسة فإنها تجعل الحياة جد عسيرة .

وايات : العمل والآن ، فى أى منزلة تضع ذلك — فى أي منزلة تضع العمل الناجح .

رسل : فى منزلة رفيعة جداً بالنسبة لكافة الأشخاص النشطين ، وهناك نفر خامل لا يعتمد على العمل كثيراً . أما إذا كنت نشطاً فلابد لك من منفذ لطاقتك ، والعمل هو المنفذ الواضح والعمل لن يجعلك سعيداً بالطبع إذا كان فاشلا . ولكنه إذا كان ناجحاً ملأ عليك يومك وضاعف بقوة من سعادتك .

وايات : هل يهم نوع العمل ؟

رسل : لا ؛ لا أعتقد أن نوع العمل يهم ، مع تحفظ واحد وهو أن هناك بعض أعمال تفتقر إلى الاستقرار وتخضع لأهواء الغير . بمعنى أنه يخيل إلى أنى لو كنت عضواً فى اللجنة التنفيذية للحزب الشيوعى فإن العمل سيكون معلقاً إلى حدما ولكنه .

وايات : ولكنه قد يثير الحماسة فى شخص آخر يحب هذا اللون من العمل .

رسل : نعم ، إذا كنت تحب هذا اللون من العمل فسيكون كل شيء على ما يرام .

وايات : ولكن فيما يتعلق بضخامة العمل أو سموه - هل يهم هذا ؟

رسل : حسن ، لا ، إن هذا يتوقف على مزاجك . هناك أشخاص لا يحسون بالسعادة إلا إذا قاموا بأعمال ضخمة ، وآخرون يسعدهم أن يحققوا انتصارات محدودة . إن المسألة مسألة مزاج . ولكن يجب أن يكون عملك من النوع الذى تستطيع إمكانياتك إنجازه بنجاح .

وايات : يخيل إلى أنك توحى بأن الكسول محظوظ ، وبأن المرء يستطيع أن يقنع بالعمل القليل جداً .

رسل : نعم ، غير أنك لن تكون سعيداً سعادة المجتهد فى عمله ، هذا هو ماتثبته تجاربى على الأقل . وإن السعادة التى يستشعرها المرء حين ينجز - بنجاح - عملا طيباً صعباً لهائلة ، هائلة ، جداً فى الواقع ولا أعتقد أن الشخص الكسول يستشعر شيئاً من هذا القبيل .

وايات : لو قيل لك إنك لو كنت أقل ذكاء لتتمتع بسعادة أكبر فماذا يكون ردك ؟

رسل : أوه ! لن أوافق على هذا مطلقاً ، لا والواقع أننى سأكون على استعداد للتخلى عن قسط من السعادة فى مقابل مزيد من الادراك والذكاء . لا ، إننى أحب الذكاء

وايات : هل تعتقد أن الفلسفة تسهم فى توفير السعادة ؟

رسل : حسن ، إنها تسهم فى توفير السعادة إذا كنت مهتماً بالفلسفة ومتقناً لها أما إذا لم يكن الأمر كذلك فإنك ان تشعر بسعادة ـ غير أن هذا ينطبق على بنا المنازل أيضاً . . إذا كنت بناء ناجحاً ساهم ذلك فى إسعادك إن أى شيء تتقنه يسهم فى إسعادك .

وايات : فما العوامل التى تحارب السعادة ؟

رسل : حسن ، هناك عوامل كثيرة ، بخلاف أضواء الاشياء التى تحدثنا عنها . والآن ، إن من بين العوامل التى تحارب السعادة : القلق ، وبتقدم السن أصبحت أكثر سعادة لأنى حاولت إبعاد القلق عن نفسى إننى لا أقلق الآن كثيراً ، ولقد عثرت على خطة مفيدة جداً لعلاج القلق ، وتتلخص فى أن أحدث نفسى قائلا « والآن ، ما هو أسوأ شيء يمكن أن يحدث ؟ » ... ثم أقول « حسن ، لن يكون الأمر بهذه البشاعة بعد مضى مائة عام؛ من المحتمل ألا يكون له أى وزن » . وبعد أن تفكر بالفعل ، بهذه الطريقة ، لن تحس بقلق كبير . إن القلق ينجم عن عدم مواجهة الاحتمالات السيئة .

وايات : هل تستطيع التغلب على القلق بإرادتك ؟

رسل : إلى حد كبير ، وليس بصورة كاملة .

وايات : فأين تضع الحسد ؟

رسل : أوه . الحسد ، نعم . إنه مصدر مفزع للشقاء . بالنسبة لعدد هائل من الناس . أذكر الرسام هيدون الذى لم يكن رساماً بارعاً ، غير

أنه كان يتمنى لو كان . وقد ظل يدون يومياته ، وجاء في إحدى صفحاتها « قضيت صباحاً تعساً وأنا أقارن نفسي برفائيل .»

وايات : هل لك في أن تتوسع قليلا في الحديث عن موضوع الحسد ؟ .

رسل : هناك أناس كثيرون يتمتعون بأشياء كثيرة كان من الممكن أن تجلب لهم السعادة ، ومع ذلك يشعرون بقلق ، لأن هناك ، في نظرهم من يمتلك أكثر منهم . إنهم يعتقدون أن هناك من يمتلك عربة أجمل أو حديقة أروع ، أو يحدثون أنفسهم قائلين : ما أجمل أن نعيش في مناخ أفضل !! أو ما أكثر التقدير الذي يحصل عليه « فلان الفلاني » من عمله - وهذا وبدلا من أن يستمتعوا بما لديهم من الأشياء الكفيلة بتحقيق السعادة ، يقضون بأيديهم على هذه السعادة ، بتفكيرهم فيمن يملك أكثر منهم ، مع أن هذا لا يهم . .

وايات : نعم ، ولكن ألا يمكن أن يفيد الحسد ، بمعنى أنك إذا حسدت شخصاً آخر على عمله لأنك تعتقد أنه أفضل من عملك فإن ذلك قد يدفعك إلى إجادة عملك ؟

رسل : نعم ، قد يحدث هذا ، غير أن الحسد يدفعك أيضاً إلى تشويه عملك ، على ما أعتقد ، وأهم من هذا أنه يجعلك تحاول التدخل في عمل الآخرين . إن هناك سبيلين تسبق بهما الشخص الآخر : أن تمضي في طريقك قدماً أو تعرقل أنت سير الآخر .

وايات : فماذا عن الملل . . .. مامدى أهمية الملل فى نظرك ؟ .

رسل : أعتقد أنه هام لصورة هائلة وأعتقد أنه — لن أقول إنه وقف على الانسان ، لأننى تطلعت إلى القردة فى حديقة الحيوان فبدا لى أنها تعانى من الملل — لكنى لا أعتقد أن هناك حيوانات أخرى تعانى من الملل .

وأعتقد أن الملل دليل على وجود مزيد من الادراك ، بيد أنى أعتقد أنه هام بصورة هائلة .

ونستطيع أن تلمس أهميته من الطريقة التى يتصرف بها البدائيون حينما يحتكون بالمتمدينين لأول مرة ، إن أول شئ يطلبونه هو المشروبات الروحية .إنهم يحتاجون إليها أكثر مما يحتاجون إلى الإنجيل أو السفر الدينى ، أو حتى الحبات الزرقاء ، وهم يريدون الكحول لأنه يطرد عنهم الملل لحظات .

وايات : ولكن كيف يتغلب المرء على الملل الذى يعانى منه الناس. الملل الذى تعانى منه . على سبيل المثال ، فتيات مثقفات ؟ إنهن يتزوجن ثم لا يجدن مايمارسنه سوى إدارة شئون المنزل .

رسل : حسن ، إن النظام الاجتماعى السئ هو المسئول عن هذا . ولا أعتقد أنك تستطيع أن تعالج الأمر دائماً عن طريق أى إجراء فردى غير أن هذا المثل الذى تضربه هام جداً فى أيامنا هذه . إنه يدل على أننا نفتقر إلى النظام الاجتماعى السليم ، إذ يجب أن يتاح لكل رجل أو امرأة الفرصة لممارسة أية مهارة مفيدة يجيدها ، أو تجيدها .

وهذا ما لا تجيده، بعد الزواج نساء، عصريات تلقين تعليما عالياً غير أن نظامنا الاجتماعى هو المسئول عن هذا.

وايات : إلى أى مدى يساهم المرء فى تحقيق سعادته إذا هو فهم البواعث التى تكمن وراء تصرفاته، وبذلك يتجنب خداع نفسه ؟

رسل : أوه، أعتقد أن ذلك يسهم كثيراً فى تحقيق سعادته. هناك أناس من كافة الأشكال والأنواع يكرهون شخصاً أو مجموعة من الأشخاص، أو يكرهون شيئاً، ثم يخيل إليهم أن الدافع وراء ذلك وجود مثل أعلى نبيل. مع أن الواقع يشير إلى عكس ذلك فى كثير من الأحيان.

ولو اكتشفوا هذه الحقيقة لصاروا أكثر سعادة.

وايات : هل تعتقد أن كثيرين من الناس يجلبون لأنفسهم الشقاء لأنهم يخدعون أنفسهم ؟

رسل : أوه، نعم، أعتقد أن هذا يحدث للكثيرين جداً.

وايات : هل تعتقد أن من الممكن أن يشعر الإنسان بسعادة وهو فى محنة — كأن يكون فى السجن مثلا. لقد كنت أنت نفسك فى السجن.

رسل : أوه، حسن، لقد قضيت فى السجن وقتاً ممتعاً للغاية، غير أننى كنت فى الفئة الأولى التى لا تخضع للمشاق المعتادة التى تخضع لها الحياة فى السجن. غير أن السجن شاق عادة، شاق جداً لرجل اعتاد

اعمالا ذهنية.وسيكون السجن أخف وطأة إذا كنت معتاداً على العمل اليدوى ، ذلك لانك لن تحرم هنا كثيراً من حياتك الذهنية .

وايات : لقد دخلت السجن وانت تشعر بأنك دخلته دفاعاً عن رسالة ، فهل تعتقد أن هذا يحقق من السعادة مالا يحقق دخولك السجن لذنب جنيته ؟

رسل : أوه ، هذا صحيح بشكل تأكيد اقصد أنهم لو حكموا على نفس الحكم لانى سرقت ملاعق ، فإنى ساشعر بشقاء لانى احس ... حسن ... حسن ، لانى احس . اننى اهنت بسبب جرم ارتكبته بالفعل . أما فى حالتى فإننى لم اشعر بأنى اهنت .

وايات : هل لان المسألة كانت مسألة مبدأ ؟

رسل : نعم .

وايات : هل تعتقد أن مما يساعد الناس على الاحساس بالسعادة وجود رسالة يعيشون بها ومن أجلها !

رسل : نعم ، بشرط قدرتهم على النجاح بشكل أو بآخر . ذلك لانى أعتقد أنهم لن يشعروا بالسعادة إذا فشلت رسالتهم .

ولكنهم إذا استطاعوا تحقيق شئ من النجاح من حين لآخر فإن ذلك سيساعدهم .

وأعتقد أن من واجبى الانتقال من هذه النقط إلى نقطة أخرى، وهى أن الاهتمامات الجانبية — وبخاصة حين يتقدم العمر بالانسان — عنصر هام من عناصر السعادة .

فكلما ابتعدت اهتماماتك عن الذاتية وامتدت إلى ماوراء حياتك الخاصة ، قل انشغالك بدنو الموت فى وقت قريب . وأعتقد أن هذا العنصر من أهم عناصر السعادة فى فترة الشيخوخة .

وايات: فما رأيك فى كل هذه النظريات التى يخرج بها الناس باستمرار عن كيفية إطالة العمر والشعور بالسعادة ؟

رسل : حسن ، إن مسألة إطالة العمر أمر يتصل بالطب ، وهو أمر لا أحب أن أبدى فيه رأيا .

ولقد وصلتنى كتابات كثيرة دونها دعاة هذه الأنظمة . إنهم يخبروننى بأنه ما على إلا أن أتناول عقاقيرهم حتى يسود شعرى من جديد . بيد أنى . لا أعتقد أننى أحب ذلك ، فقد اكتشفت أنه كلما دب الشيب فى رأسى ازداد استعداد الناس لتصديق ما أقول .

المحاورة الرابعة

دور الفرد

المحاورة الرابعة

دور الفرد

وودرو وايات : ما الذى تعنيه بدور الفرد ؟

رسل : إننى أفكر أساساً فى أوجه النشاط التى يستطيع الفرد ممارستها خارج دائرته كعضو فى منظمة . وأعتقد أن هناك أوجه نشاط كثيرة جداً، وهامة ، ومفيدة للغاية ، ومستحبة، مارسها أفراد دون ما مساعدة من منظمة ، غير أن اعتمادها على المنظمات أخذ يتزايد فى الوقت الحالى . وكبار العلماء لم يعتمدوا ، فى الماضى ، على الأجهزة الباهظة النفقات ـ علماء كبار مثل كوبر نكوس ، جاليليو ، نيوتن ، داروين . لقد قاموا بأعمالهم كأفراد ، وكان فى مقدورهم أن يؤدوا مهامهم على هذا النحو . أما الآن . . لنأخذ أحد علماء الفلك المحدثين . عندما كنت فى كاليفورنيا قابلت أحد علماء الفلك البارزين فى عصرنا ، إن عمله ـ وهو عمل مفيد جداً وممتع للغاية ـ يعتمد بأكمله على مجاهر معينة دقيقة ، حادة ، وهذه المجاهر أهداها لأحد المراصد رجل من ذوى الثراء الطائل . ولقد قال لى ، ونحن نتناول العشاء ، أنه لم يتمكن من أداء عمله بالطابع إلا لأنه على علاقة طيبة ببعض الأفراد الأثرياء الموثرين .

وايات : فما الحل الذى تراه لهذه المشكلة ؟

رسل : حسن ، لا أعتقد أن هناك حلا معيناً لهذه المشكلة سوى أن تكون هناك رغبة عامة فى النهوض بالمعرفة . وأعتقد أن هذا الأمل كبير ، ولكنى لا أرى حلا آخر للمشكلة .

وايات : فكيف يستطيع شخص أن يطالب أو يثبت حقه فى استخدام مثل هذه الأجهزة الباهظة الثمن ؟

رسل : حسن ، أنت لا تستطيع استخدامها إلا بتفويض من زملائك . ومن حسن حظ العلماء أن من السهل تقويم كفاءة العالم . أما فى الفن فالأمر يختلف . فالشاعر أو الرسام أو المهندس المعمارى الذى يرضى معاصريه قد لا يكون مجدداً مبتكراً ؛ غير أن المجددين الأفذاذ يثيرون سخط معاصريهم ، ولذا تصعب المهمة فى ميدان الفن .

وايات : ولكن ، هل يمكن التوسع قليلا فى الحرية الثقافية والعلمية ؟ وما أهمية هذه الحرية ، بالضبط ، بالنسبة للمجتمع ؟

رسل : حسن ، منذ زمن وجيز انتهيت إلى القول بأن الحوافز العامة التى تدفع إلى السلوك تنقسم إلى قسمين : حوافز إبداعية وحوافز امتلاكية . وأنا أعتبر الحافز إبداعياً عندما يهدف إلى خلق شئ لم يكن موجوداً من قبل ، كما أنه ـ فى نفس الوقت ـ لا يأخذ هذا الشئ من شخص آخر .

وأسمى الحافز امتلاكياً عندما يتمثل فى حصولك على شئ موجود بالفعل ، كرغيف العيش . والآن إن لكل وظيفته بالطبع ، ويجب أن

يكون لدى الإنسان حافز التملك لكى يستطيع أن يبقى حياً ، غير أنك حين تتكلم عن مجال الحرية تجد أن الحوافز المهمة بالفعل هى الحوافز الإبداعية . وأنت حين تكتب قصيدة لاتمنع شخصاً آخر من كتابة قصيدة أيضاً . وحين ترسم لوحة لاتمنع رساماً آخر من أن يرسم لوحة . مثل هذه الأشياء إبداعية ، وهى لاتتم على حساب شخص آخر وأنا أعتقد أن من الواجب توفير الحرية المطلقة لهذه الأشياء .

وايات : هل تعتقد أن الحرية الثقافية والعلمية آخذة فى التدهور ؟

رسل : نعم ، إنها آخذة فى التدهور ، بصورة حتمية تقريباً ، وربما لم يكن هذا التدهور كبيراً فى المجالات الفنية على ما أعتقد ، ولكن من المؤكد أنها آخذة فى التدهور فى المجالات العلمية ـ للأسباب التى تحدثت عنها آنفاً، إن الجهاز العلمى اليوم باهظ الثمن بحيث لايمكن لإنسان أن يعتمد كجليليو على مجهر صغير يملكه . إنك لا تستطيع أن تصنع بنفسك مجهراً أو مرصداً حديثاً .

وايات : نعم ، غير أن هناك اليوم امتيازاً كبيراً ، فكثيرون من الذين حققوا اكتشافات علمية فى الماضى تعرضوا لخطر الشنق ؛ أما اليوم فإن العالم يستطيع أن يمضى فى سبيله دون أن يتعرض لأى خطر .

رسل : لا أومن بصحة هذا . نحن لا نطيح عادة برؤوس العلماء ، ولكن إذا تصاعدت منهم رائحة سياسية غير مستحبة ـ وقد يحدث هذا بالفعل ـ فإنهم لن يدخلوا المعامل التى يحتاجون إليها .

وايات : ولكن ، هل وجدت الحرية العلمية والحرية الثقافية فى يوم من الأيام ؟

رسل : لا ، لا أعتقد ذلك . لا ، لا أعتقد أنها وجدت فى يوم من الايام . الواقع أن كافة الاشخاص الذين يحققون تقدماً هاماً فى أى اتجاه كان يثيرون معارضة هائلة من جانب الرأى العام .

وايات : هل لك فى أن تضرب لنا بعض الأمثلة ؟

رسل : كوبر نكوس . وخذ جاليليو لقد تعرضا لعنت شديد نتيجة لاكتشافاتهما . ولقد ظن معاصرو داروين أنه شرير لدرجة لا توصف . وهذا هو مايحدث لكل شخص يحقق تقدماً هاماً .

وايات : أليس من الجميل أن الناس يلقون معارضة شديدة عندما يقدمون افتراضات قد تكون صحيحة أو فاشلة ؟ إن هذه المعارضة تدفع إلى اختبار هذه الفروض ، وبذلك لا ننخدع بالنظريات الزائفة .

رسل : حسن ، لا أعتقد أن المعارضة تحول دون ظهور النظريات الزائفة .

أما النظريات السليمة فستتعرض للمعارضة العنيفة . والآن ، هناك الكثير مما يمكن قوله بالنسبة للنقطة التى أثرتها . إذا لم تكن المعارضة عنيفة جداً فإنها تشجع العالم على المضى فى طريقه ، أما إذا كانت عنيفة

للغاية فإنها توقفه . عندما يستأصلون رقبتك تضمحل قدرتك على التفكير .

وايات : لماذا سببت اكتشافات كثيرة صدمة للناس ؟

رسل : لأنها تجعل الناس يحسون بعدم الأمان . إن كل كائن بشرى ـ مثله فى ذلك مثل أى حيوان ـ يريد أن يعيش فى بيئة يحس هو بأنها مأمونة ـ بيئة لا تتعرض فيها لأخطار مفاجئة . والآن عندما يخبرك شخص بأن الشىء الذى كنت تؤمن به دائماً ليس صحيحاً فإن ذلك يسبب لك صدمة مروعة ، وتقول لنفسك « أوه ! أنا لا أعرف اين أقف . وقد يخيل إلى أن قدمى على الأرض ولكن من أدرانى » . وهكذا يتسلل الرعب إلى قلبك .

وايات : حسن ، الواقع أن هذا يؤثر على الاكتشافات فى ميدان الفكر أكثر مما يؤثر على العلوم العملية . أعتقد أنه ليس هناك من يعترض على شخص اخترع آلة للوصول إلى القمر .

رسل : حسن ، لا . الواقع أنهم يعترضون نفر منهم على الأقل ، ولكنهم ليسوا بالكثرة التى توقعتها ـ إنهم يعترضون على آلة تقضى على الجنس البشرى ، وهذه الآلة جزء من العلم .

وايات : نعم ، غير أن هذا موضوع آخر ، أليس كذلك ؟ أريد أن أقول أن هنـــاك اكتشافات جديدة عديدة ، كالتليفزيون ، لم تصدم الناس مطلقاً .

رسل : حسن ، هذا اختراع جديد ، غير أن الاكتشافات التي تقوم على أساسها الاختراعات الجديدة كثيراً ما تؤثر في ميدان الفكر ، الذي يختلف عن ميدان الفنون الصناعية ، وهي في تأثيرها على الفكر تصدم عادة معظم الناس

وايات : إنك تعلق أهمية كبرى على مسألة الدور الذي يمكن أن يلعبه الفرد لماذا تعلق عليه كل هذه الأهمية ؟

رسل : لأن كافة أشكال التقـــدم البشرى الهام منذ بدء العصور التاريخية تمت على يد أفراد تعرض معظمهم لمعارضة الجماهير المغرضة

وايات : هل تعتقد أن الخوف من الرأى العام منع كثيرين من إنجاز أعمال مجيدة معقولة ؟

رسل : نعم ، إن للرأى العام تأثيره الهائل جداً ، وخاصة في فترات الانفعال حين تشيع الهستيريا الجماعية . وإذ ذاك يخاف أناس كثيرون جداً من الوقوف في وجه الهستيريا الجماعية ، وتكون النتيجة أن تنتصر الأشياء السيئة مع أنه يجب ألا تنتصر .

وايات . هل تعتقد أن هذا ينطبق على العلماء والفنانين ؟

رسل : نعم ، أعتقد هذا . وأعتقد أن العلماء يتمتعون بالامتياز التالى إنهم يستطيعون أن يثبتوا أحيانا أنهم محقون، غير أن الفنانين لا يستطيعون أن يثبتوا أنهم محقون كل ما يأمله الفنان هو أن يعتقد الناس أنه محق، ولذا أعتقد أن وضع الفنان أكثر صعوبة من وضع العالم .

ولكن، مما لاشك فيه أن العالم يعانى من المتاعب فى العصر الحديث ، ذلك لأنه قد يتوصل إلى اكتشافات ان ترضى عنها الحكومة ، وفى هذه الحالة يتعرض للمتاعب .

وايات . أوه ، أتعتقد أنه عاجز عن المضى فى طريقه فى العالم الغربى؟

رسل : قد يعجز ، وقد لا يعجز . إن الأمر يتوقف على مكانته ، وعلى قوة الأدلة التى يملكها ، وعلى درجة المتاعب التى سيسببها اكتشافه للحكومة .

وايات : حسن ، فماذا عن الأشخاص الذين يمكن أن نعتبرهم مفكرين وهم ليسوا فنانين تماما أو علماء يستنبطون أشياء عملية ؟

رسل : حسن ، هذا يتوقف على وضعهم . الواقع أن كثيرين جداً من المفكرين يحذرون التعبير عن آرائهم بطريقة علنية خوفا من أن يجروا على أنفسهم المعارضة واللوم .

وايات : فماذا عن الأشخاص الذين لا يدخلون تحت القوائم السابقة؟

رسل: إليك تلك القضية الشهيرة التى وقعت فى أمريكا بعد الحرب العالمية الأولى . كان هناك رجلان ، ساكو ، وفانزيتى وجهت إليهما تهمة القتل .

ولم تكن الأدلة مقنعة تماما ، وبعد أن تمت إدانتهما تألفت هيئة للنظر فى الأدلة . ومن بين أعضاء هذه الهيئة عميد هارفارد ، وانتهى هو والآخرون إلى أن الرجلين مذنبان ؛ وتم تنفيذ حكم الاعدام فيهما .

واعتقد أن كل شخص بحث الأدلة بطريقة غير متحيزة أمن بأنها لا يمكن أن تؤدى إلى الحكم بإعدامهما .

وايات : هل تقصد أن عميد هارفارد نفسه كان يعرف أنهما ليسا مذنبين ؟

رسل : أعتقد أنه لا بد كان يعرف ذلك . لا أستطيع أن أتأكد ، لأنني لا أستطيع أن أقرأ سريرته . ولكنى أعتقد أنه لابد كان يعرف ذلك .

وايات : وكان السبب هو الخوف من الرأى العام ؟

رسل : نعم .

وايات : والآن ، إننا نزداد اقترابا من ذلك الموضوع الهام : مقدار الحرية التي يجب أن يضحى بها الفرد لكى يكون هناك مجتمع منظم . مارأيك فى هذا ؟

رسل : حسن ، إننى أومن بأن المحافظة على النظام الاجتماعى أمر أساسى يجب أن تخلق ، إن استطعت ، عالماً لا يسرق فيه النـــاس ، ولا يتقاتلون ، وهكذا وأنت تحقق هذا داخلياً - وإلى حد ما - عن طريق الشرطة . وأعتقد أن مثل هذه القيود المفروضة على الحرية أمر ضرورى تماماً ، وبخاصة فى المجتمع المزدحم . خذ مثلا لوائح المرور : « عندما كنت صبياً لم تكن هناك عربات تسير من حولك ؛ كان فى مقدورك أن تقود بالطريقة التى تهواها ؛ لم يكن هناك مايهمك . ولكننا الآن نملك لوائح معقدة ودقيقة يجب إطاعتها ، وإذا لم تطع هذه اللوائح

سببت متاعب كثيرة لنفسك وللآخرين . ذلك لأن العالم ، عامة ، قد ازداد ازدحاماً ، في حالة انعدام لوائح المرور .

وايات : هل تعتقد أن الحريات في حاجة إلى التوسع ؟

رسل : حسن ، الحريات في حاجة إلى التوسع في المجال الذهني ، وفي حاجة إلى الانكماش في مجال التملك .

المحاورة الخامسة

مستقبل الجنس البشرى

المحاورة الخامسة

مستقبل الجنس البشرى

وودرو وايات : لورد رسل ، لقد غطينا فى هذه الأحاديث موضوعات كثيرة متنوعة. فما الآمال التى تراود الجنس البشرى، والمخاوف التى تنتابه ، فيما يتعلق بهذه الموضوعات ؟

لورد رسل : حسن ، إنه سؤال صعب للغاية . إننى ألمح احتمالات المستقبل ـ احتمالات كئيبة . واحتمالات تبعث على الأمل ـ بيد أنى أعتقد . أنه من الأفضل لنا أن نفكر أولا فى جانب الغاية إذا شئنا أن نحدد موضوعنا .

وايات : حسن ، فلنبدأ بالاحتمالات الكئيبة . ماالذى يمكن أن نأمله منها ، على ما تعتقد ؟

رسل : فلنفرض، ونحن نفترض . بالفعل، أن الجنس البشرى لن يمحو فى نفسه فى حرب طاحنة ، إن أكبر خطر يتهدده فى المستقبل ، غير الحرب هو خطر الطابع الموحد المفروض وأعتقد أن العالم سيبلغ من التنظيم مرحلة ينعدم فيها المرح من كل مكان ، وذلك بتأثير الاكتشافات العلمية والامكانيات والتنظيم الادارى .

وايات : هل تعتقد أن اليد العليا ستكون للطابع الادارى التنظيمى ؟

رسل : أعتقد أن هذا قد يحدث إننى أشير إلى الطابع التنظيمى الذى يسير جنباً إلى جنب مع نوع من الكفاءة العلمية ، ذلك لأن الطابع التنظيمى يستطيع الآن أن يحقق أشياء لم يكن يقدر عليها فى الماضى . وبعض هذه الأشياء طيب ، غير أن الكثير منها عكس ذلك .

وايات : ما الأشياء السيئة التى يستطيع أن يقوم عليها هذا الطابع التنظيمى ؟

رسل : حسن ، إنه يستطيع أولا أن يفرض سلطاناً هائلا على آراء الناس وأفكارهم ، بادئاً بمدارس الأطفال ، وما يتلو ذلك ، وهكذا يخضع الانسان فى أفكاره ، وآماله ، ومخاوفه لما تراه السلطات التعليمية. إنه سيأمل بالطريقة التى يرون أنه يجب أن يأمل بها ، ويخاف بالطريقة التى يرون أنه يجب أن يخاف بها .

وايات : ولكن، ألن يكون هناك دائما طائفة من الأشخاص الأقوياء المستقلين فى تفكيرهم ، مثلك ، وهؤلاء يستطيعون تجاهل مثل هذا النوع من التعليم ؟

رسل : لا أعتقد ذلك . لا . وأريد أن أقول إن طراز الناس الذين أنتمى إليهم تربوا فى عالم قديم . تربوا فى عالم أقل تنظيما من العالم الذى أتصوره فى المستقبل كان هذا العالم يفوقه عالم اليوم فى التحرر والتفرد ، ولم يكن الناس يصاغون فيه فى قالب واحد، وهو أمر سيحدث فى المستقبل على ما أعتقد .

وايات : تحدثت فى موضع عن عجز الناس عن الاستمتاع بحياتهم

الخاصة إذا أصبح لهذا الطابع التنظيمى اليد العليا . فهل لك أن توضح كلامك قليلا ؟

رسل : حسن ، نعم . خذ مثلا ما يمكن اعتباره مظهراً هاماً للغاية من المشكلة بأكملها ـ خذ مسألة تحسين النسل . لنفترض أن هناك حكومة علمية تسلطت عليها الفكرة التالية ، وهى : أنها تستطيع إنتاج جيل أفضل من جيلنا : سيكون من الواضح تماماً ، من وجهة النظر العلمية المحضة ، أن جيل المستقبل يجب أن يولد عن طريق انتخاب ٥٪ من الذكور ، ٣٠٪ من الإناث ، وأنه يجب تعقيم الباقى من أجل ضمان هذه النتيجة . حسن ، أعتقد أن الوضع سيكون سيئاً للغاية . ولكنى لا أستبعد حدوث ذلك .

رايات : ولكن أتعتقد أن هناك احتمالا خطيراً بالفعل يوحى بأن العلم قد يتسلط على عقول الناس فيدفعهم إلى هذا الإجراء ؟

رسل : نعم ، أعتقد أنهم قد يفعلون ذلك من أجل الانتصار فى الحرب فمن الواضح تماما إنك تستطيع إنتاج جيل بهذه الطريقة ، وسيكون هذا الجيل أكثر كفاءة ـ فى الحرب ـ من الناس ولدوا بطريقة عرضية عفوية . وأعتقد أنك تستطيع أن تقنع الناس بسهولة ، لقد صدقنا أن الحصول على الأسلحة الذرية أمر ضرورى لأن الجانب الآخر سيحصل عليها لا محالة ، ولذا فإن الإنجاب بالطريقة العلمية ضرورى أيضاً لأن الجانب الآخر سيطبق هذه الطريقة لامحالة .

رايات : إن هذا كله يذكرنا بمفهوم (جورج أورويل) فى روايته

١٩٨٤ أو بألدوس هكسلى فى «عالم جديد جرىء» Brave New World

ولكن هل تعتقد أن هذا قد يحدث بالفعل خارج الكتلة الشرقية ؟ إننى إننى أشير هنا إلى الخضوع فى وجهات النظر .

رسل : أعتقد أن الأمر أقل خطورة فى الغرب منه فى الكتلة الشرقية غير أنه ماثل بوضوح ، بوضوح كبير جداً ، فى الغرب . ماثل بوضوح كبير .

وايات : فما التبعية التى تراها ماثلة فى الرأى ، والملبس والعادات ؟

رسل : حسن ، خذ الفن مثلا . كثيراً ما لاحظت خلال أسفارى ، وخاصة فى أمريكا ، أنهم يحترمون الفن للغاية ، وأنهم يكرمون الفنانين الاوربيين ويدفعون لهم كمية هائلة من الدولارات ، ومع ذلك لايسمحون لاى طفل أمريكى بأن تكون له العقلية الفريدة التى لابد منها إذا كان له أن يصبح فناناً . وهكذا تجد أن كل الفنانين الذين يقدسونهم هم فنانون أوربيون لا أمريكيون .

وايات : هل تعتقد أن الفن تعرض لعوائق فى روسيا ؟

رسل : أوه - حسن ، لا أعرف ، لأنى لم أتعرف إلى روسيا ، ولكن يخيل إلى أن هذا صحيح بكل تأكيد .

وبالرغم من أن « الدكتور جيفاجو » رأى النور إلا أنه يخيل إلى أن الادب قد عانى الكثير هناك ، بكل تأكيد . وأريد أن أقول إن الادب الروسى ، فى العصر القيصرى ، كان رائعاً ، ولا أعتقد أن أحداً يستطيع أن يحكم هذا الحكم على أدبهم اليوم .

وايات : فماذا عن الباليه فى روسيا ؟

رسل : إن الباليه أثر من آثار العصر القيصرى وعندما رأيت الباليه عام ١٩٢٠ بدا لى أنه يحدث فى نفسك ماتحدثه زهور مقطوفة وموضوعة فى زهريات . أحسست أنه جميل جداً وممتع جداً ، غير أنه محروم من الحيوية والنضارة اللتين تفيضان من التربة . وأعتقد أنه أصبح الآن أشبه بالتحف التى تعرض فى المتاحف .

وايات : معنى هذا أنك تعتقد أن ذلك كله قد يؤدى إلى تجمد ، فلا يحدث أى شىء جديد ؟

رسل : نعم أعتقد أن خطر ذلك ماثل جدا . سيكون المجتمع أشبه بمجتمع بيزنطى جامد ينتقل من جيل إلى آخر دون أن يتغير ، إلى أن يبلغ به الجمود فى النهاية أن الناس لا يحتملونه ، وإذ ذاك يقضون عليه نتيجة لإحساسهم بالملل .

وايات : من بين العقبات التى يبدو أنها تواجه الإنسان ، أنه لا يستسيغ أنصاف الحلول . إنه قد يشرع فى شىء بنجاح ، غير أنه يتطرف فيه أخيراً . هل تعتقد أنه سيتعلم الاعتدال فى يوم من الأيام ؟

رسل : مما لا شك فيه أننى آمل أن يستطيع ذلك يوما . إنى أعتقد أن ذلك ضرورى للغاية بالفعل ، كما أعتقد أنه قد يحقق ذلك فى يوم من الأيام . وأنا لا أعتبر هذه التحذيرات الكئيبة التى سردناها حقيقة من حقائق الإنجيل . إنى آمل جداً ألا يحدث شىء مما تنبأنا به .

وايات : هل نستطيع أن ننتقل الآن إلى الجانب الأكثر اشراقا ؟

رسل : حسن : يخيل إلى أن أول ما نحتاج إليه هو أن نفهم أن شرور العالم ؛ بما فى ذلك الشرور التى تعذر منعها فى الماضى ، يمكن القضاء عليها الآن .

إن السبب الوحيد فى استمرار هذه الشرور هو أن فى أرواح الناس عواطف شريرة . عواطف تمنعهم من اتخاذ خطوات لإسعاد الآخرين . وإذا سلمنا بقوى العالم المعاصر من حيث الأساليب الحديثة، وجدنا أن مشكلته كلها كامنة فى نفسية الفرد ؛ فى عواطف الفرد الرديئة . فإذا تحققنا من ذلك ؛ وإذا تحققنا أيضاً من أنه لكى تكون سعيداً فى عالم حديث متماسك وجب أن تتأكد من سعادة جارك بالرغم من كراهيتك له . . . أعتقد أننا اذا تحققنا من ذلك استطعنا أن نحصل على عالم أكثر سعادة من عالم ظهر من قبل على سطح الأرض .

وايات : فإذا وجه الناس عواطفهم بالطريقة التى تقترحها ، فما الشرور التى ستختفى بناء على هذه الخطوة ؟

رسل : حسن ، أولا : ستختفى الحرب ، ثانيا : الفقر . فان الفقر ؛ فى الأزمنة الغابرة ، أمر لا مفر منه بالنسبة لغالبية السكان . غير أنه لم يعد كذلك فى الوقت الحالى . ولو أراد العالم الغاء الفقر لاستطاع ذلك فى مدى أربعين عاما . ولقد تم تخفيف حدة المرض الى حد كبير ، ومن الممكن الاستزادة من هذا . وليس هناك من سبب يحرم الناس من الاستمتاع بفترات من السعادة المطلقة من حين لآخر .

وايات : حسن ، الواقع أننا نتحدث الآن ، بالفعل ؛ عن خلق الصلاح الايجابى- على ما أعتقد . اى صلاح إيجابى آخر يمكن أن يحققه المرء فى نظرك ، فى المستقبل .

رسل : أعتقد ان الامر يتوقف على التعليم إلى حد كبير واعتقدان غايتك ، فى ميدان التعليم ، أن تؤكد أن الجنس البشرى أسرةواحدة لها مصالحها المشتركة . ولذا فإن التعاون أهم من حافز المنافسة، وحب جارك ليس مجرد واجب أخلاقى تؤكده الكنائس فى ذهنك ، وإنما هو أحكم سياسة ، إذا نظرت اليه من زاوية سعادتك أنت .

وايات : من بين المزايا التى يبدو أن العلم سيحققها للجنس البشرى ، أن ساعات العمل الأسبوعية ستصبح فى وقت قريب عشر ساعات فقط. والآن ما الذى سيفعله الإنسان بوقت فراغه ؟

رسل : حسن ، إذا كان من الممكن أن يوجد هذا العالم الذى أتصوره فى لحظات سعادتى ، فإن الانسان سيفعل بوقت فراغه مافعله المثقفون الأثرياء فى الماضى .

ولترجع مثلا إلى ارستقراطى القرن الثامن عشر، الذى كان فى كثير من الأحيان مثقفاً جداً . كان لديه وقت فراغ كبير، وكان يعرف كيف يستغل وقت فراغه ، بالرغم من أن كثيرين منهم فعلوا أشياء ما كان لهم أن يفعلوها . غير أن كثيرين منهم فعلوا أشياء طيبة ، فشجعوا الفن ، ونسقوا الحدائق الجميلة وشيدوا القصور الفخمة ، وكافة الأشياء المحببة إلى النفس . وعندما أكون مبتهجاً أتصور عالماً يتاح فيه هذا لكل فرد لأن كل فرد سيكون قد حقق مستوى كافياً من الثقافة .

وايات : فماذا عن المغامرة فى هذا الميدان بالذات ؟

رسل : يجب أن تنظم السلطات مسألة المغامرة . وأقصد بذلك أن من واجب السلطات إتاحة ألوان من النشاط المغامر بالفعل ، بل الخطر إذا اقتضى الأمر ، مما يعشقه الشباب الممتلىء حيوية ، على ألا ترهقهم بمزيد من النفقات أو تأخذ المزيد من وقتهم . يجب أن تتاح لك فرصة السفر إلى القطبين ، يجب أن تتاح لك فرصة صعود الجبال الشامخة . وإذا تحقق السفر إلى الفضاء رجب أن تتاح لك فرصة السفر الى الفضاء. يجب توفير كل هذه الأشياء ، وسيؤدى هذا إلى إعلاء الغرائز التى ينصرف معظمها الآن إلى الحرب .

وايات : ما آخر رسالة تود أن تبعث بها إلى بنى المستقبل ؟

رسل : أحب أن أقول : إنكم تملكون ، بفضل المعرفة ، قوى لم يسبق لانسان أن امتلكها . وفى مقدوركم أن تحسنوا استغلال هذه القوى أو تسيئوا استخدامها وسيكون لكم ذلك إذا تحققتم من أن الجنس البشرى كله أسرة واحدة، وأننا نستطيع أن نكون سعداء جميعاً أو أشقياء جميعاً . مضى الوقت الذى كان من الممكن أن تعيش فيه قلة سعيدة على حساب كثرة شقية . مضى هذا لوقت. ولن يرضى الناس لذلك الوضع بعد الآن وستضطرون ، إذا أردتم أن تكونوا سعداء، إلى التأكد من أن جيرانكم سعداء أيضاً . وأعتقد أننا إذا علمنا الناس بحكمة فإن طباعهم ستكون أكثر صراحة وسخاء ، ولن يترددوا فى الاعتراف بأن سعادة الآخرين شرط أساسى لتحقيق سعادتهم . أحيانا أتخيل عالما يزخر بالكائنات

البشرية السعيدة ، إنهم سعداء جميعاً ، وأقوياء ، وأذكياء ، ليس فيهم من من يضطهد . وليس فيهم من يضطهد . عالم من البشر الذين يدركون أن مصالحهم أهم من المصالح التي يتنافسون فيها ، بشر يطمحون نحو تلك الامكانيات الرائعة التي حققها الفكر البشري والخيال البشري . من الممكن أن يوجد هذا العالم الذي تحدثت عنه اذا قرر الناس وجوب وجوده فإذا ظهر هذا العالم ـ اذا ظهر هذا العالم حقاً ، فإننا سنحظى بعلم أكثر روعة ، وبهاء ، وسعادة ، وأكثر امتلاء بالخيال والعواطف النبيلة من أى عالم عرفه الكون من قبل ؟

فهرس

روايات عالمية

تصدر يوم السبت ٢٣ سبتمبر

مدام سان جين

قصة تاريخية

من اروع ما كتب عن نابليون بونابرت

بقلم الكاتبين الفرنسيين

فكتوريان ساردو و جورج لبلتييه

١٦٠ صفحة الثمن ٣٠ مليما

الكتاب ١١٩ — الثمن ٥ قروش

صدر يوم الخميس ٢١ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٦١

الدار القومية للطباعة والنشر
شركة ذات مسئولية محدودة
١٥٧ شارع عبيد – روض الفرج
تليفون : ٤٥٣٤٦ – ٤٥٤٠٥ – ٢١٦٢٥